سقاية السهروردي وغيرها

— تعليق على مقال عنوانه مدرسة اسماعيل باشا العباسي —

بقلم : المحامي المحقق يعقوب سركيس

جاء في مجلة الغري الزاهرة (٨ [١٣٦٥—١٩٤٦] ٢٦—٨٦) في المقال المعنون باعلاه لشاب فاضل توقيعه خضر العباسي قوله :

« انشأ جدنا اسماعيل باشا العباسي بعد اكمال بناية المدرسة المذكورة [في جامع الشيخ عمر السهروردي] سبيل خانة تكون سقاية لها . وكان موضعها سابقاً في ارض مقهى « الخليفة » في الميدان اليوم (١) . كان يجري اليها الماء من دجلة بواسطة ناعور منصوب على النهر وموضعه بين النادي العسكري ومجلس الامة (٢) والماء الذي كان يجري الى السبيل خانة (السقاية) يذهب بواسطة انابيب الى المدرسة في جامع السهروردي . يقول العلامة المرحوم محمود شكري الالوسي في كتابه (هو تاريخ مساجد بغداد وآثارها) : « سقاية جامع الشيخ عمر السهروردي يجري اليها الماء من دجلة بقناة ولعل اسماعيل باشا هو الذي انشأها يوم رمم الجامع وبنى بعض جهاته والمدرسة التي في داخله » اهـ . وفي المقال ان لعبد الباقي العمري قصيدة في بناء اسماعيل باشا لمدرسة الجامع وفي آخرها هذا البيت :

في مقام السهروردي ارخو حجر اسماعيل للعز تشيد (٣)

---

(١) يريد بازاء هذا المقهى لقوله في الحاشية زوال السقاية عندما فتحت الحكومة العثمانية الشارع المسمى بشارع الرشيد ولقوله انها اصبحت في وسط الشارع .

(٢) يريد بين الشريعة المطلة عليها من جهة الشمال بناية مجلس الامة اليوم والنادي العسكري . وقيل لي ان هناك اثراً للبئر فذهبت اليه نهراً فشاهدته في المسناة . ولقول صاحب المقال انه هدية الى الدكتور مصطفى جواد بمناسبة تأليف كتابه خطط مدينة بغداد اورد ما يلي : ان هذا الموضوع الذي رأيت اثر البئر في مسنانه هو فوق البناية التي يشغلها الآن ديوان وزارة المعارف] بينه وبين الشريعة المذكورة . [وكان هذا الديوان في عهد الولاة الكولة من (المماليك) « دائرة للحوم » لهم . وهذه العمارة القائمة التي نشاهدها هي من انشاء دائرة الاراضي السنية للسلطان عبد الحميد . وكان بناؤها لتتخذ ديواناً لهذه الاملاك وهكذا كانت . ومن المعلوم ان آخر هؤلاء الولاة الكولة من كان داود باشا وقد أعقبه اللازعلي رضا باشا ثم نجيب باشا . والظاهر ان هذا الباشا هو اول من ترك سكنى هذه الدار حينما بنى له قصرا خارج السور في بستان هو اليوم المستشفى الملكي أو انه كان يقضي وقتاً في الدار ووقتاً في القصر . وقد خطط هذا القصر جونس وكولنكود في خارطتها التي يأتي ذكرها باعلاه وفيها ان اسمه نجيبية . وذكرى لهذا البحث وفيه لفظ نجيبية هو لتأكيدما كنت كتبته في مجلة عالم الغد (١ [١٣٦٤—١٩٤٥] ٢٥-٦٨١) في تسمية هذه العمارة تارة نجيبية وتارة مجيدية نسبة الى السلطان عبد المجيد . وقد ادركت نصرت باشا مفتش الاردو (الفيلق) السادس يسكن هذا القصر في سنة ١٨٩٣ وعمري اذ ذاك سبعة عشر عاماً بعد ان كان مدحت باشا قد زاد على هذه العمارة ابنية لاقامة شاه ايران بمجيئه لزيارة الائمة . وترجمة نصرت باشا في سجل عثماني (٤ : ٥٥٤) وفي المقامة الرابعة من مقامات العلامة محمود شهاب الدين الآلوسي — رحمه الله — المطبوعة في كربلاء في سنة ١٢٧٣ ذكر لهذا القصر فانه قال : « ثم اقبل محمد نجيب باشا ... وقعد على دست الوزارة في مدينة السلام ... ثم اتفق ان جماعة من التجار ... فذهبوا اليه في قصره على دجلة خارج السور » اهـ .

(٣) وهناك ابيات في المدرسة قال صاحب المقال انها من قصيدة للشاعر الحلي راضي القزويني وفي آخرها بيت التاريخ وهو :

فارفع الكف داعيا يا مؤرخ شاد اسماعيل قصراً منيفا

وحروف هذه الكلم تساوي ١٠٨٩ فكيف التوفيق . ان هذا للغز لم اهتد الى حله ان من المعلوم ان الشيخ راضي القزويني —

وعندي ديوانه مخطوطاً وليس فيه هذه القصيدة . وقد رواها صاحب المقال باعتبار ان اسماعيل باشا هـذا جـده . ومن هذه القصيدة ابيات في تاريخ المساجد [الص ٥٤] للآلوسي وقد عد التاريخ ١٢٧٣ لانه اعتبر كتابة اسماعيل من دون الف بعد الميم .

قلت ان كتاب تاريخ المساجد لا يتكلم على سقـاية في الميـدان انما على سقاية في جامع السهروردي وان ما قاله صاحب المقال بصدد سقاية الميدان هو له . فهذه غير تلك التي في السهروردي .

وهل يمكن ان تكون سقاية في الميدان لمدرسة في جامع السهروردي والمسافة بينهما لا تقل عن كيلو مترين ؟

وقيل لي ان هذه السقاية التي كانت في الميدان هي لشوكت بك وانه والد الدكتور صائب قبل ان يكون باشا وقد جاء في لب الالباب للشيخ العالم محمد صالح السهروردي (الص٢٥٩) في ترجمة الواثق الامين انه كان متولياً على اوقاف سبيل خانة شوكت بك وقـد رأينا الآلوسي — رحمه الله — ينسب القناة التي ذكر جريان المـاء فيها الى السهروردي والسقاية التي فيه الى اسماعيل باشا مع شك في المنشيء . فالتصريح في كلامه ان هذا المشروع الخيري ان لم يكن لهذا الباشا فلغيره من ابناء قرنه ويجوز انه يقصد نسبة هذا الانشاء الى رجل عهده أبعد من الزمن الذي كان يعيش فيه اسماعيل باشا الذي عناه صاحب المقال والحقيقة الراهنـة هي ان هذه السقاية وقناتهـا ليستا من انشاء اسماعيل باشا المذكور في المقال [فيه انه توفي في سنة ١٢٩٢] [١]

—من رجال القرن الثالث عشر وله ذكر في كتاب نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر للدكتور البصير وقد ترجمـه في مجلة البيان الغراء صاحبها الاستاذ الخاقاني وفي العنوان انه توفي في سنة ١٨٢٥ وهذا غلط مطبعي . وهناك ان المترجم كان حيا في ولاية مدحت باشا . (كان اولها في سنة ١٢٨٦هـ—١٨٦٩) ففي هذه الابيات المنسوبة الى راضي القزويني تصرف ولعب يد اما في اسم ناظمها او اسم الممـــدوح أو العمارة أو غير ذلك . وفي سالنامة (تقويم سنوي استانبول لسنة ١٢٧٦ (وهوعندي) ان فيها متصرفا في شهر زور اسماعيل باشا من اصحاب رتبـــة بكلو بكي وليست له ترجمة في سجل عثماني . فهل هو الوالي الذي ذكرته الابيات التي قال صاحب المقال انها للعمري بانياً مدرسة له في جامع السهروردي ؟ ان الذي يظهر لي ان اسماعيل باشا الذي نعتتـه السالنامة متصرفا هو الذي نعتتـه القصيدة المنسوبة الى العمري والياً تعظيما له . وكانت وقتاً منطقة شهرزور ايالة [ثم ترك استعمال هذه الكلمة وعوضت بلفظة ولاية] ويظهر لي من بيت من هذه القصيدة وهو : « سابقاً كان بنى مدرسة حنصر الفضل عليها راح يعقد » انها قيلت بعد البنـاء بمدة فهي ليست قصيدة القيت يوم حفلة الافتتاح كما ادعى صاحب المقال فانهـا ابيات للتاريخ فحسب . ولا اظن ان اسماعيل باشا الذي مدح في النظم هو جد لصاحب المقال . وسبب ذلك ان الذي اعرفه ان رتبة بكلوبكي كانت عزيزة جداً يظن بها على عراقيين وامثالهم في ذلك التاريخ بل قلما اعطيت اياهم بعـــد تلك الايام في سني السلطان عبد الحميد . وفي الغري ان وفاة اسماعيل باشا الذي عناه صاحب المقال كانت في سنة ١٢٩٢ هـ في بغداد وانه دفن فيها في الشيخ عبد القادر بعد ان كان متصرفا في كربلاء . اما كتاب مشاهير الكرد و كردستان فانه يقول وفاته في كربلاء ودفنـه فيها . فهل اسماعيل باشا باني المدرسة غير الذي ذكره صاحب المقال جداً له ؟ لي كل الحق في هـذا السؤال لانه جاء لهـذا الفاضل ما نصه : « وفي زمن الوالي نامق باشا الكبير سنة ١٢٦٤ هجرية عين متصرفا على مدينة كربلاء المقدسة ثم تركها ورجع الى بغداد الى ان توفي في سنة ١٢٩٢ هجرية » فلم يكن والياً أو متصرفا في شهر زور مع ان القصيدة التي رواها للعمري تذكر الباني والياً في شهرزور كما رأينا واخيراً اقول ألا يستنتج مما سبق بيانه ان هذا الباني هو غير جد صاحب المقال ؟

[١] ان كانت وفاته في هذه السنة او قبلها بسبع سنين وانه مدفون في مقبرة الشيخ عبد القادر كما قال صاحب المقال فيه فقد تكون الزوراء الجريدة الرسمية غير خالية من ذكر يوم وفاته . وعند العلامة الأب انستاس مجموعة من هذه الجريدة منذ اول صدورها في سنة ١٢٨٦ فما بعد وهناك اعداد سنة ١٢٩٢ ولا مجال لي الآن للاطلاع على هذه المجموعة لوجود—

كما انها ليست لأحد من ابناء قرنه فانها قديمة فقد كانت قبل عهد هذا الباشا اسماعيل بنحو قرنين لما جاء عنها في ظهر الورقة ١٠١ من كلشن خلفاء [بالتركية لنظمي زاده مرتضى افندي المتوفى في العقد الرابع من القرن الثاني عشر للهجرة وهو مطبوع في استانبول في سنة ١١٤٣ وعندي منه نسخة] وهذا ما اوجزه منه من اخبار والي بغداد السلحدار حسين باشا وكان والياً فيها من اول سنة ١٠٨٢ الى قسم من سنة ١٠٨٥ .

وان مرقد الشيخ شهاب الدين هو من الاماكن التي يتبرك بها وقد امسى هذا الموضع قليل الماء قريباً من اليبس خالياً من العمارة ومن اجتماع الناس فوق هذا الوالي [حسين باشا] لبناء بئر في دجلة وجدار اجري عليه الماء واوصله الى المرقد وانشأ عنده حديقة كما انه انشأ سقايتين في موضعين فامست غوطة الشام تغبط هذا المكان وقد غدا منتزها للخاص والعام وما عدا هذا فانه اشترى سوقا حسنة المنظر موضعها عند باب المستنصرية وغيرها من الاملاك ووقفها لتبقى خيراته المذكورة وآثارها جارية مدى الايام وهي لا تزال حتى الآن وهذا تاريخ السقاية .

نوش جان ياد حسين ايله كل ايج آت حيات ١٠٨٥ ، انتهى

معناه : هلم اشرب هنيئاً ماء الحياة واذكر حسيناً

ويعلمنا بامر لهذه السقاية بعد ذلك التاريخ بستين سنة ما قرأته في نسخة قديمة لوثيقة بالتركية اصلها مؤرخ في ربيع الثاني ١١٤٥ وهو ان دفتردار بغداد راغب محمد افندي (مترجم في سجل عثماني) ظهر له ان السبعة التغارات من الشعير التي كانت ضمنت سنوياً من قبل الميري [الحكومة] الى (مصروف) ثيران سقاية الشيخ شهاب الدين الوقف بغية اسقاء خان اللاوند يوم كان بناؤه قديما قبل تجديده لا تكفي المصروف بعد أن جدد فقد ضم الى ذلك ثلاثة عشر تغارا من الشعير فبلغ المجموع عشرين تغاراً على أن يضم هذا المقدار (على ما يستوفي من) غلال مقاطعة المحاويلين ابتداء من اول ايلول ١١٤٥ انتهى

ملخصاً والمحاويلين يراد بها ما يسمى اليوم بالمحاويل من مقاطعات قضاء الحلة نفسه .

وتجد رسم قسم من هذه القناة في خارطة بغداد لفلكس جونس وكولنكود اللذين خططاها في سنة ١٨٥٣/٥٤ [١٢٧٠/٧١هـ] وهي ملحقة بكتاب مجموعة تقارير جونس المذكور المرفوعة الى حكومته المطبوع في بومي في سنة ١٨٥٧ وهذا القسم من القناة يمتد من منتهى العمران متصلا به الى جامع السهروردي ولكن الخارطة لا ترينا سير هذه القناة من منتهى العمران الى دجلة .

رأينا حكاية صاحب كلشن لبناء حسين باشا لسقايتين في موضعين ولم يعينها الا ان ايصاله للماء الى السهروردي وانشاءه عنده حديقة وغدو ذلك المكان منتزها للناس يلزمنا بان نقول ان احدى السقايتين كانت في هذا الموضع . اما الثانية فيلوح لي انها كانت في الطريق المؤدي اليه وان الماء كان ينصب فيها من قسم القناة المرسوم في خارطة بغداد وسبب ذهابي الى هذا الرأي هو طول المسافة الممتدة من منتهى العمران الى الجامع فان الذي يقصد لا يبعد انه يحتاج الى الشرب في فصل القيظ في قطعه لهذه المسافة التي هي مئات من الامتار وهو يسير تحت اشعة الشمس المحرقة في ارض قفرة ولا يبعد ان صاحب هذا المشروع الخيري قصد ايضا ارواء القادم من الشمال الى الجنوب وبالعكس وازالة الظمأ عنه وهو يمر بهذه الضواحي الجرداء ومما يؤيدني الى درجة هو ان في نحو منتصف هذا القسم المرسوم في الخارطة تخطيط بناية وفي زاويتها الغربية الملاصقة بالقناة كذلك تخطيط بناية مساحتها صغيرة اقدرها بعشرات قليلة من الامتار [انظر في الخارطة ومنها نسخة في مكتبة المتحف] . فهل يكون هذا الموضع هو السقاية التي ذهبت الى وجودها ؟ وان كنت غير مصيب في رأيي هذا وكانت السقاية الثانية لحسين باشا هي التي في الميدان الأمر الذي لا اظنه فالظاهر ان شوكت بك قد اعاد الماء اليها بعد ان كان قد انقطع عنها من بئر حسين باشا المار

ـ الأب في المستشفى الملكي ـ شفاه الله وعافاه ومد عمره ـ هذا فضلا عن ان خزانته التي تقدر مجلداتها بخمسة عشر الف مجلد واكثر قد نقلت من غرفها الاربع لهدمها يوم كان الأب في القدس في القيظ الماضي . والهدم هو لتجديد بناء الدير كله وقد تم البناء . وكان نقل الخزانة الى غرفة مما كان قد كمل بناؤه من العمارة إذ ذاك ولا تزال الكتب في هذا الموضع مكدسة تكديساً على ان تنظم وتنسق في غرفة كبيرة خصت بها في هذا الدير .

الذكر وانه كان يجري اليها الماء من مضخة البلدية التي كانت قد انشئت في زمنه لأرواء قسم من شمالي بغداد وقد يكون الامر غير هذا وان سقاية شوكت بك انشاء له لا دخل لها في سقاية قديمة ولا بد من ان المعلومات الصحيحة نجدها عند اسرة شوكت باشا الكريمة .

رأينا صاحب المقال ينبئنا بان السقاية التي كانت في الميدان هي لجده اسماعيل باشا وليس له سند كتابي باحداثه أو بتجديد لها فالقول له كما مر بنا وقد رأينا ما جاء في لب الالباب وما قيل بشأنها ولي ان اقول ان صح ان المـــاء كان يجري في القناة الى السهروردي فوجود سقاية فيه ملؤها من القناة في عهـد رجل اسمه اسماعيل باشا لنسبة كتاب المساجد لأنشائها اليه أو الى غيره يكون الماء قد انقطعت اسالته الى هناك بسبب من الاسباب فاعيد وان كان المعيد لهذا المشروع رجل اسمـه اسماعيل باشا يكون هذا المعيد هو اسماعيل باشا من اصحاب رتبة بكلوبكي الذي كان متصرفا أو والياً في شهرزور وقـد مر ذكره في حاشية وذلك لمخاطبة القصيدة المنسوبة الى العمري له بوالي شهرزور .

وعلى ذكر السقايات انقل ما جاء في رحلة اوليـــاء جلبي [٤ : ٤٢٠] الذي كان قد قدم الى بغداد مرتين الاولى في سنة ١٠٥٨ « الص ٤٢٦ » والثانية في سنة ١٠٦٦ « الص ٣٩١ » فانه قال :

« السقايات : عددها مائة (لعل في هذا العدد مبالغـة) وملؤها ينقله السقاؤون من النهر (دجلة) والمشهور منها (آ) سقاية حيدر جلبي [١] (ب) سقاية موسى باشا [٢] (ج) سقاية ابي بكر خواجه (د) سقاية حسب الله جلبي [٣] » اه

هذا ما وقفت عليه من امر سقاية جامع السهروردي وغيرها في عهد اوليا جلبي . اما الآن فلا ماء يجري الى هذا الجامع في قناة على جدار ولا اثر لجدار كما ان لا ساقيـة في الارض . ولا بد من ان مديرية الاوقاف العامة والاسرة السهروردية الفاضلة الكريمة عندها علم بزمن انقطاع المجرى في القناة وهي وقف كما رأينا . وكذلك لا بد من ان غيرهم من الناس — ولاسيما الذين كانت القناة تمر بمحالهم — يعرفون سماعا من السلف زمن انقطاع جريان الماء في تلك القناة التأريخية . ويجري اليوم المـاء الزلال الى السهروردي في انابيب معدنيـة للجنـة اسالة المـاء يشرب هنيئاً مريئاً .

بغداد — يعقوب سركيس

« ١ » في كلام الرحلة « ٤ : ٤٢٠ » على اشراف بغـداد واعيانها ان لهم سرايات « قصوراً » وما ذكر هنـاك ان في مقدمة هذه القصور قصر صدر « بصادود ال مهملتين » جلبي ولا شك ان المراد به حيدر جلبي . وما اكثر تحريف الكلم في الكتاب . ان التحريف ينغش فيه نغشا . وما يؤيد قولي ذكر الرحلة لحيدر جلبي تكراراً « الص ٤٢١ » في اسماء الكبار والاعيان وذكرها لحمامه « الص ٤٢٢ » وهو الحمام المعروف باسمه حتى الآن وموضعه في رأس الغربة . وقد اتخذ بعد الحرب العـامة الاولى قسم من مرافقه مخزناً للمحل التجاري المسمى اورزدي باك حيث تباع انواع السلع الاوربية ولا يزال المخزن على هذه الحال .

« ٢ » كان والياً في بغداد وعندي نبذة مخطوطة « بالتركية » في ما حدث فيها وما جرى له في مجيئه اليها في سنه ١٠٥٨ مع سلفه ابراهيم باشا .

« ٣ » كذا قد ذكر اوليا جلبي قصراً لحسب الله جلبي في مقدمة القصور . وكرر اسمه في بيانه لاسماء الكبار والاعيان وكان حسب الله جلبي « شاه بندر » بغداد على ما في نبذتي المخطوطة المنوه بهـا . ومما هو صريح فيهـا انه كان ذا شان وعلو منزلة . ولفظـة « شاهبندر » كانت تعني في ذلك الزمن كبير التجار ورئيسهم .

الى مسلمي العالم

ان [جامعة التبليغات الاسلامية] التي اسست في ايران منذ خمسة اعوام « وقد اسدت للامة الاسلامية خدمات جليلة » تدعوكم للنظر في نظامها وغايتها وتنتظر منكم المساعدة في سبيلها . يمكنكم ان توجدوا صلاة متينة بواسطة هذه الجمعية مع جميع المسلمين في الاقطار العالمية . يرسل لكم برنامجها وهدفها باللغات الرائجـة [العربية — الفارسية — الفرنسية — الانجليزية] اطلبوها كي نرسلها لكم مجاناً .

جامعة التبليغات الاسلامية

صندوق البريد رقم ١٥٣ - طهران - ايران